الفصل الثاني
ممارسة العمل

بدأ الشيخ أحمد يمارس عمله التعليمي في المدرسة وقد تخوف أهله وأصدقاؤه من أن تثير حالة الشيخ أحمد الصحية سخرية الطلاب والأساتذة وقد كان هذا منطقياً في مجتمع لا تسيطر فيه الأفكار الإسلامية التي تدعو إلى احترام الآخرين، ولكن الشيخ أحمد استطاع منذ اليوم الأول في المدرسة أن يفرض احترامه سواء بين الطلاب أو المدرسين وقد كان توفيق الله تعالى معه إذ بدأ يدعو إلى الله مباشرة في المدرسة وتحدث أحد أبناءه من طلاب مدرسته أن الشيخ كان إلى جانب تدريسه يعلمنا الصلاة، كيف نتوضأ ثم كيف نصلي وقد تعلمت على يديه قراءة الفاتحة والتشهد وكان يجمعنا في حلقات المسجد يعلمنا قراءة القرآن ويشرح لنا الحديث.

وقد ركز الشيخ أحمد اهتمامه حتى بالمشاغبين من بين الطلاب لأنه أدرك أن هؤلاء لم يطبعوا على ذلك ولكن لسوء أسلوب في التعامل أو خطأ في التربية أدى بهم إلى الشذوذ عن السلوك القويم الذي يتمتع به باقي الطلبة، والخلاصة أن الشيخ استطاع فعلاً أن يستقطب احترام الجميع وأصبحت الحالة الصحية التي شكلت لدى الجميع مانعاً للإنطلاق حافزاً لديه لتجاوزها وتركها خلفه وربما الأمر الذي زاده احتراماً لدى طلابه هو أنه قد وثق الرابطة معهم فلم تقتصر تلك الرابطة على إعطاء الدروس في المدرسة ولكنه بدأ يرتبط بهم عن طريق مسجد الكنز في حي الرمال حيث يقابلهم في رحاب بيت الله حيث صفاء النفس والابتعاء عن الصخب وجو الإثارة وقد وجد فيه طلابه المعلم المخلص الذي يعطي أكثر من غيره من أعضاء الهيئة التدريسية في المدرسة إذ أنه ما اكتفى بالدروس التي تعطى لهم في المدرسة ولكنه كان يعطيهم دروس تقوية في مادة اللغة العربية بعد صلاة العصر مرتين أسبوعياً بدون مقابل غير ابتغاء مرضاة الله تعالى، وقد كان هذا نمط جديد سواء في المدرسة أو بالنسبة لأولياء الأمور وقد كان ذلك فاتحة أبواب الاحترام من قبل هؤلاء لهذا المدرس[1].

لقد جعل الشيخ أحمد الذي بدأ يأخذ هذا اللقب في هذه المرحلة من حياته وذلك لظهوره بمظهر الشيخ الوقور بين الطلاب وآبائهم من حياته المدرسية باباً

واسعاً للدعوة إلى الله وقد شكل كثير من تلاميذه في المدرسة بعد ذلك قادة الدعوة التي قادها الشيخ أحمد.

وقد كان من الطبيعي أن يجد الشيخ في هذا المشوار الكثير من الصعاب وخاصة من أولئك الذين أرادوا محاربة نهجه منذ البداية إذ كانت هذه المرحلة تشهد نشاطاً للشيوعيين ملحوظاً ساهم الإسلاميون أنفسهم في تقويته وذلك لأنه نتيجة الضغط السياسي المتواصل على أفرادهم وملاحقتهم ومطاردتهم وقطع أرزاقهم إلى الخروج من ساحة القطاع إلى الخارج وبالذات في دول الخليج العربي مما ترك الساحة خاوية للشيوعيين والقوميين يتصرفون فيها كما يشاءون وينشرون أفكارهم السامة بالأسلوب الذي يروقهم حتى لقد كان المصلى في تلك المرحلة يخفي نفسه أثناء الصلاة حتى لا يكون مادة للسخرية من أبناء حيه وزملاءه في المدرسة.

وكانت أول المشاكل التي واجهها الشيخ أن حضر أحد ضباط السلطة من أولياء الأمور وكان قد أغضبه توجيه الشيخ لولده بالذهاب إلى المسجد لأنه رأى في ذلك خروجاً عن الإرادة العائلية والتقاليد الاجتماعية التي أراد أن يرسيها هو وغيره ممن وضعوا الدين جانباً وقابل هذا الضابط ناظر المدرسة الأستاذ محمد الشوا وشكى له أن أستاذاً يدعى أحمد ياسين يأخذ الأولاد إلى المسجد ويعلمهم الدين هناك، وكان الأستاذ الشوا رجل مؤمن ومرب فاضل أعجب بشخصية الشيخ أحمد فأجاب الضابط: «أنا سعيد جداً بهذا المدرس وسأقدم له جواب شكر على ذلك فأين المدرس الذي يدرس الدين عملياً في المسجد؟! وحبذا لو كان في كل مدرسة في القطاع مدرس مثله»[٢] فأسقط في يد الضابط الذي ذهب غاضباً معتقداً أن ولده يتعرض لمؤامرة تفسد خلقه ثم بعدها بفترة حضر طبيب شيوعي إلى نفس الناظر يحرضه على الشيخ أحمد ياسين وعلى أسلوبه في العمل قائلاً: «يا عمي قبلنا أن يصلي الولد، وقبلنا أن يذهب إلى المسجد أما أن يصوم اثنين وخميس من كل أسبوع فهذا أمر صعب ولا نقبل به» وكانت إجابة الناظر نفس الإجابة للمحرض الأول.

لقد كانت كلمات الطبيب الشيوعي شهادة للشيخ إذ أنه عندما علم الدين إلى جانب اللغة العربية في مدرسة الرمال لم يكن التعليم عبارة عن كلمات تقال في المسجد أو في الفصل ثم تنسى ولكنه طبق ذلك من خلال الالتزام بمباديء العمل الإسلامي والالتزام بنهج الله القويم في السلوك والفكر ولم يتوقف الالتزام عند الصلاة ولكنه تعداها إلى الصيام يومي الاثنين والخميس وكانت هذه ظاهرة غريبة في تلك المرحلة من الزمن وفي تلك الشريحة من المجتمع شريحة الطلاب، وربما هذا ما دعى ولي أمر الطالب إلى محاربة هذا السلوك منذ البداية حتى لا يصبح عادة أو موضة يأخذ بها الطلاب وأفراد المجتمع الأمر الذي يشكل خطورة على دعوى الالحاد بالله التي نادى بها هو وزملاءه.

زواجه

بعد أن استقل الشيخ مادياً وأصبح قادراً على أن يكفل زوجه كلم أخوه أبو نسيم أخيه الأكبر في أمر الزواج فرغب هو وأخيه وأمه أن يزوجوه بنت أحد أقرباءه بينما رغب الشيخ في بنت أخرى إلا أن ضغط أهله جعله يرضخ فذهبوا لخطبتها من أبيها وكان الرد أن لها أخ في السعودية وأنهم يريدون معرفة رأيه في زواجها فظن الشيخ أن هذا رفض مقنع فأصر على موقفه الرافض من تلك البنت ثم توجه إلى السيد حسن ياسين هو وإخوته وكلموه في أمر ابنته حليمة فوافق وتزوج في أوائل الستينات وقد كانت البنت الأولى أكثر من الثانية جمالاً وأكثر حنكة إلا أن الشيخ اعتقد أن المسألة مسألة كرامة واختيار[٣].

كانت حياة الشيخ أحمد هادئة مع زوجته إذ أنه استقل في بيته في معسكر الشاطيء وقد كانت زوجته خدومة ومطيعة وودوده وذهبت والدته لتسكن معه إذ أنها فضلت البقاء إلى جانبه وربما لعب وضع الشيخ الصحي دور في هذا الاختيار عن إخوته الأصحاء القادرين على إعالتها وربما أيضاً كانت ملاطفة الشيخ لها ومعرفة قدرها وإعطائها حقها الذي نص عليه الإسلام من التوقير والحب هو الذي دعاها إلى هذا الاختيار.

كان كلما دعاها إخوته أبو نسيم وأبو علي أن تزورهم وتمكث عندهم ترسل للشيخ بعد فترة وجيزة ليأخذها وكانت تقول لإخوته مبررة ذلك «لقد اعتدت على أهله وأولاده ولا أستطيع تركهم»[٤].

رزق الشيخ أحمد من زوجته بفتى إسمه عائد فتوفي ثم رزق بآخر أسماه على إسم أخيه الأسبق عائد فتوفي ثم رزق طفلة أسماها عائدة فبقيت حية وقد تزوجت عام ١٩٧٨م ثم رزق بعد ذلك بولده محمد[٥] الذ يكنى به «أبو محمد» وتبعه ولدان أسماهما عبد الحميد وعبد الغني وقد رزق من البنات سبع أكبرهن عائدة.

وقد كانت علاقته مع أولاده وبناته وزوجته علاقة الأب الحنون الودود وإن أدت علاقاته الاجتماعية والدينية إلى إثقال كاهل زوجته التي ما انفكت تخدم ضيوفه ليل نهار، أما أولاده فعندما أدرك أنهم لن يتمكنوا من مواصلة الدراسة بالأسلوب الذي يتمناه الأب وجههم لتعلم أعمال أخرى تعينهم على توفير سبل العيش الكريم لهم، من هنا كان توجيهه لعبد الحميد بالعمل كميكانيكي أما محمد فلم يجد أمامه سوى العمل في صناعة الطوب ليساهم في إعالة الأسرة بعد سجن والده.

وضع الحركة الإسلامية في القطاع ودور الشيخ فيها

تأثرت حركة الإخوان في قطاع غزة بما كان يجري للحركة الأم في مصر فكانت إذا تعرضت الحركة الأم في مصر إلى ضغط أو قرارات تصدر بشأنها فإنها كانت تطال فرع الحركة الموجودة في قطاع غزة وذلك لأن القطاع كان تحت الإدارة المصرية العسكرية.

عندما قامت ثورة ٢٣ يوليو بقيادة عبد الناصر أراد عبد الناصر أن يحيد الحركة الإسلامية التي أدرك قوتها في الشارع المصري لذلك فقد تحسنت علاقة النظام بالحركة الإسلامية لأن عبد الناصر أراد أن يوطد زعامته وأركان حكمه إلا أن هذه العلاقة سرعان ما تغيرت نحو الأسوأ عندما رأت حركة الإخوان في التوقيع على اتفاقية الجلاء بين بريطانيا والحكومة المصرية على أنه إجحاف بحق مصر

والمصريين وقاموا بمعارضة هذه الاتفاقية وكان عبد الناصر في هذه المرحلة يكيد لهذه الحركة التي نظر إليها بمنظور العداء، خاصة وأنها كانت قد بدأت أعمال فدائية ضد الوجود الإنجليزي في القناة ومدن القناة السويس والاسماعيلية وبورسعيد، مما هدد الاتفاقية التي وقعها النظام، من هنا فقد وضع عبد الناصر كميناً للحركة نفذه عام ١٩٥٤م عندما دبر حادث إطلاق النار عليه في المنشية أثناء خطابه وقام بإلقاء القبض على الفاعل الذي اتهمته أجهزة الأمن بالانتماء إلى جماعة الإخوان وقامت بحملة اعتقالات واسعة شملت قيادات وكوادر الإخوان وأصدر النظام قراراً يحظر نشاط حركة الإخوان ويعتبرها حركة غير قانونية.

شمل القرار السابق حظر على نشاط الإخوان في قطاع غزة وأقفلت شعب الإخوان التي بلغ عددها إحدى عشر شعبة[٦] وهكذا فإن أكبر حركة سياسية في القطاع قد حلت بجرة قلم من الحكومة المصرية إذ كانت حركة من أكبر التنظيمات من الناحية العددية وأكثرها جماهيرية وبلغ عدد المنتسبين إليها في هذه المرحلة أكثر من ألف شخص[٧].

هذا القرار دفع جماعة الإخوان إلى العمل السري حيث كانت تتم لقاءات الأسر والتدريبات الرياضية والعسكرية وغيرها من نشاطات الإخوان بعيداً عن أعين الناس وأعين أجهزة مخابرات الحكم العسكري المصري في القطاع، ومع ذلك فإن الملاحقات قد ازدادت وطورد الكثير من قيادات وعناصر الإخوان في القطاع وتعرض الكثير منهم إلى مضايقات عديدة لا نهاية لها.

وقد ذكر الشيخ حماد الحسنات أنه كان يراقب ليل نهار لدرجة أصبح عميل المخابرات المصرية يطارده بدون أي محاولة لإخفاء نفسه، الأمر الذي أدى إلى معرفة بين الطرفين ويضيف أنني ما كنت أخرج لأزور أحد إلا «ورجلي على رجله» وكان يجلس معي على القهوة، لدرجة أصبحت معها سجين هذا الرجل[٨].

ويقول أحد قدامى الإخوان واصفاً المعاناة التي كان يلاقيها كوادر الإخوان في القطاع «ذهبت مرة لأزور الأستاذ حماد الحسنات عند خروجه من السجن وكان ذلك ليلاً خوفاً من عيون المخابرات إلا أنه تبين لي أن رجل المخابرات كان يتصنت

على الشباك وعندما خرجت من البيت اعترض طريقي وأنار في وجهي المصباح وسألني أين كنت» وأضاف كنت أعرف هذا الرجل جيداً إذ هو من سكان مخيم النصيرات من عائلة الفيراني وأذكر أنه قد هجر البلد وسكن في عمان بعد حرب ١٩٦٧م وفي مرة قابل والدتي هناك فقال لها: «قولي لولدك أن يسامحني لأني كنت أراقبه».

في هذه المرحلة كانت الإدارة المصرية قد بدأت تنغمس في مشروع سياسي لتصفية القضية الفلسطينية سمي بمشروع التوطين وقد ظهرت جذور هذا المشروع عام ١٩٥٢م عندما قررت الأمم المتحدة تخصيص ٢٥٠ مليون دولار لوكالة غوث اللاجئين فقامت الوكالة بالاتصال بالحكومة المصرية وأسندت إلى المجلس المصري الدائم لتنمية الانتاج القومي المسؤولية المشتركة لإجراء أبحاث ودراسات عن مشروع الري والتوطين في سيناء ويتلخص هذا المشروع في نقل مياه الري من النيل إلى جزء من صحراء سيناء متاخم لقناة السويس واستخدامها في استصلاح قطعة من الأرض تزيد مساحتها عن ٢٠٠ ألف دونم وبموجب هذا المشروع يمكن توطين عشرة آلاف أسرة تعمل بالزراعة، ٧٥٠ أسرة تقوم بالخدمات العامة، ٧٠٠ أسرة أخرى تعمل بالحرف والصناعات اللازمة ويتم تنفيذ هذا المشروع خلال خمس سنوات يمكن خلالها توطين ربع أعداد اللاجئين إلى القطاع والذين تعدى عددهم ٢١٤ ألف وقدر الخبراء أنه على مدة ٢٥ عاماً يمكن توطين جميع اللاجئين[٩].

رأي الفلسطينيون أن هذا المشروع بداية تصفية القضية وأن تصفية وجود اللاجئين الفلسطينيين الشاهد على خروج الشعب الفلسطيني من أرضه هو البداية، لذلك لاقى هذا المشروع معارضة قوية في مختلف التنظيمات العاملة في القطاع وفي أوساط الشعب على جميع فئاته، من هنا بدأت القوى السياسية بتوزيع نشرات سرية مثيرة واجتماعات وخطب انتهت بمظاهرات عنيفة وقد وقعت هذه المظاهرات في مارس عام ١٩٥٥م بعد وقوع الاعتداء الإسرائيلي على القطاع في فبراير ١٩٥٥م إذ كان هذا الاعتداء القشة التي قصمت

ظهر البعير.

حيث قامت دوريتان عسكريتات إسرائيليتان باقتحام حدود القطاع قامت الأولى بمهاجمة موقع مصري بالقرب من محطة سكة حديد غزة واستخدمت أسلحة نارية ومدافع مورتار وقنابل يدوية ومتفجرات ونسفوا مبنا حجرياً وأربعة أكواخ ومبنى مضخة مياه وقتلوا ١٤ جندياً مصرياً ومدنياً وصبياً وجرحوا ١٦ جندياً ومدنياً.

وفي الوقت ذاته قامت الدورية الثانية بنصب كمين على الطريق العام بالقرب من منطقة البوليس الحربي حوالي ٦ كيلومتر جنوب مدينة غزة ووقعت في هذا الكمين سيارة شحن تحمل ضابطاً و٣٥ جندي من المتطوعين الفلسطينيين إذ قام الكمين بمد سلك عبر الطريق مرتبط بصفائح من البترول تنفجر فور شد السلك، لذا فقد اشتعلت السيارة المقلة وعاجلها الكمين الإسرائيلي بنيران الرشاشات والقنابل اليدوية ولم يتمكن سوى اثنين أو ثلاثة من الجنود من الرد وأسفر الحادث عن قتل الضابط، ٢٢ جندياً، وجرح ١٢ جندي وبذلك بلغت الإصابات في الجانب العربي ٣٨ قتلى و٢٩ جريح[١٠].

دل هذا الحادث على إهمال الإدارة المصرية وعدم اكتراثها بحياة سكان القطاع، لذا فقد كان هذا الحادث بالإضافة إلى موقف مصر المتواطيء من مشروع التوطين الشرارة التي فجرت المظاهرات وانطلقت المظاهرات من جميع مدن وقرى القطاع واشترك فيها جميع أبناء الشعب المثقف وغير المثقف الكبير والصغير حتى النساء، لقد اعتقد الناس أنهم يجب أن يدافعوا عن قضيتهم بأنفسهم إذ الأنظمة العربية غير راضية ولا تريد الدفاع عنهم بل أنها تتواطأ مع جهات دولية لتصفي القضية الفلسطينية، من هنا كانت المظاهرات عنيفة وشاملة واجهتها السلطات المصرية بإطلاق الرصاص الحي وجرح وقتل العديد من السكان وقد رفع المتظاهرون شعارات كانت بالغة الدلالة فقد نادى المتظاهرون «سلحونا.. سلحونا» و«لا توطين ولا إسكان يا عملاء الأمريكان» وقد خرجت المظاهرات في بدايتها كما يذكر الأستاذ محمد شمعة من مدرسة فلسطين.

استمرت المظاهرات في ضغطها على الحكومة المصرية التي لم تجد مفراً غير التراجع عن قضية مشروع التوطين وقامت باستبعاده وقد كان للإخوان المسلمين في هذه المظاهرات دور كبير سواء في التنظيم أو في التحريك أو في قيادة المظاهرات في الشوارع وقد كانت الحركة الإسلامية آنذاك أكبر القوى السياسية في القطاع ولا يمكن قياس تأثير الحركات السياسية الأخرى بها خاصة من حيث العدد والدقة التنظيمية، لذا فقد تحملت الحركة آنذاك عبء غضب السلطات المصرية التي قامت بمطاردة جديدة لقياداتها وأعضائها واعتقل في تلك المرحلة أعضاء اللجنة الإخوانية المنتخبة التي أشرفت على توجيه المظاهرات وقيادتها وكانت مكونة من فتحي البلعاوي وفائق بسيسو وعبد الرحمن بارود ومحمد يوسف النجار ومحمود مقداد وعبد المجيد الأسمر وكمال عدوان ورجب العطار وأحمد رجب عبد المجيد وأحمد عدوان وسلامة العمصي وكلهم كانوا من قيادات الإخوان البارزة في القطاع[١١].

ثم بدأت السلطات المصرية في مطاردة البقية من قيادات الإخوان والعناصر الفاعلة، أدى هذا الوضع الجديد إلى التأثير السلبي على شكل التنظيم وفعاليته وقدرته على تنفيذ نشاطاته، إذ توقفت تقريباً كل النشاطات التي كان يقوم بها الإخوان ولم يفر أي من الإخوان من الملاحقة.

هذا الوضع دفع بمجموعة من القيادات الإخوانية إلى التفكير في الهجرة لالتقاط الأنفاس وإيجاد أجواء جديدة للدعوة خارج القطاع فهاجر عدد من القيادات منهم فتحي البلعاوي، صلاح خلف (أبو إياد)، سليم الزعنون، عوني القيشاوي، زهدي ساق الله، سليمان أبو كرش، كمال الوحيدي، وغيرهم الكثير من أصحاب النفوذ في التنظيم[١٢]. مثل الدكتور عبد الرحمن بارود.

أما القيادات الأخرى فلم تكن على نفس الكفاءة ولا المستوى التنظيمي اللازم لإعادة النشاط الإسلامي في ظل أجواء الملاحقة والمطاردة والمضايقة التي كانت تتم على يد مخابرات الحكومة المصرية لذلك فإن نشاط الإخوان في هذه المرحلة كان متمثلاً في نشاط بعض أفراده القلائل جداً

والتي كانت محسوبة من الحكومة المصرية وهي نشاطات تكاد تكون معدومة[١٣].

دور الشيخ

في هذه الظروف جاء دور الشيخ الذي كان قد التحق بصفوف الحركة حديثاً إذ لم يكن الشيخ معروفاً على أنه من قيادات الإخوان النشطة أو من الفاعلين منهم كما أنه كان بعيداً عن مركز المدينة ومراكز الإخوان إذ بدأ نشاطه في معسكر الشاطيء وربما كان وضعه الصحي والشلل الذي أصابه هو الذي صرف اهتمام رجال المخابرات المصرية عنه ودفعهم للاعتقاد أن لا خوف من رجل مقعد لا حراك به ولا قدرة أو نشاط يستطيع رصده لأي عمل تنظيمي.

استغل الشيخ هذه الأجواء وبدأ يعمل في إطار مستقل إذ أن معظم القيادات الإخوانية لم تكن تعلم بنشاطه التربوي والروحي في أوساط الشباب وقد تعرف عليه هؤلاء في مرحلة لاحقة وبعد فترة من الزمن بدأ الشيخ نشاطه بتدريس الشباب في حلقات الدراسات القرآنية في معسكر الشاطيء وبدأ ابتعاده عن مسجد الكنز حتى لا يثير حفيظة أجهزة السلطة.

فبدأت الحلقات على الرمال بالقرب من المسجد الشمالي الحالي في معسكر الشاطيء واقتصرت على تلاوة القرآن وكان يحضرها العديد من الشباب الذين قاموا هم باستقطاب آخرين حيث إن الأعداد كانت تتضاعف في كل مرحلة.

رأى الشيخ أن أعداد الشباب المتزايدة تحتاج إلى مقر للإنطلاق ففكر ببناء مسجد بالقرب من محل سكنه سمي فيما بعد بالمسجد الشمالي وقد قام الشيخ بالتبرع بخمس جنيهات التي شكلت نصف راتبه لذلك الشهر وقام بحملة تبرعات ساهم فيها المواطنون في المعسكر وفعلاً قام ببناء المسجد الذي أخذ شكلاً بسيطاً في البداية إذ غطى بالزينقو والاسبست ولكنه كان كاف للاجتماع ومركز النشاط النهاري، إذ أن نشاطات الشيخ لم تقتصر على نشاطه في المدرسة والمسجد ولكنها تعدت ذلك إلى البيت إذ يؤكد إخوانه ومنهم الأستاذ

محمد شمعة وأحمد بحر وداود أبو خاطر أن بيت الشيخ كان كخلية النحل هذا داخل وهذا خارج.

وكان الشيخ لبقاً ذكياً في دعوته كما كان محدثاً بارعاً يستلب قلوب المستمعين ويصف الأستاذ محمد شمعة اللقاء الأول قائلاً: سكان بيت الشيخ أحمد في معسكر الشاطيء يرتاده الشباب ليجلسوا معه وليسألوه ويسمعوا منه فكان مجلسه لا يخلو ساعة من الزائرين والمحبين والأخوة الذين يحبون التعرف عليه وأنا كنت من الذين تم التعرف عليه من خلال أصدقائي وزملائي فقالوا لي: هل تعرف الشيخ أحمد يايسن؟ قلت لهم: لا أعرفه، فقالوا: هل ممكن أن تأتي معنا الليلة لزيارته فذهبت إليه ووجدته في بيت يتميز بالبساطة ووجدت في شخصيته الشخصية التي تستقطب الإعجاب واستمعت إليه لأول مرة فأحببته وشعرت أنه يملك شخصية قوية ويجذب إليه القلوب وكان يهتم بكل زائر عنده وكأنه يعرفه من وقت بعيد فحتى يرفع تلك الكلفة التي يشعر بها الزائر الجديد كان يجامله ويضاحكه ويقبل عليه ويحدثه ويمازحه حتى تزول تلك الكلفة، تلك كانت شخصيته التي يستقطب بها الكثير من الشباب ويشعر كل فرد من جلسائه أنه موضع اهتمام ولا يهمل أحداِ فأحببته من يومها وأصبحت أتردد عليه»[١٤] ويقول الأستاذ داود أبو خاطر عن أول لقاء له مع الشيخ: «الحقيقة أنه يحب من أول لقاء إذ قابلني هاشاً باشاً وكأننا يعرف أحدنا الآخر منذ مدة طويلة فكان اللقاء حاراً تظهر فيه المودة ووقر في ذهني أن هذا الرجل يملأ العين وأنه متواضع وأنه محب للخير إذ أنه فتح قلبه ودار الحديث بيننا وكأننا يعرف أحدنا الآخر منذ مدة طويلة»[١٥].

ويقول أحد الذين تربوا على يديه في مقابلة مع الكاتب[١٦]: كان الشيخ يريد أن يوجد رجال فعلاً إذ كان حوله العديد من الشباب فكانوا يحفظون القرآن وكان يعمل لهم مسابقات ويضع الجوائز التي كان يتبرع بها رجال الخير والمخلصين من معسكر الشاطيء.

وقد كان يشجع الشباب على قضية الخطابة لمساعدته إذ أنه كان ضعيف

الجسم ولا يقوى وقد كان كثيراً ما يفاجيء الشاب بقوله قم يا فلان تكلم لنا عن موعظة وكان الواحد منهم يرتجف عندما يتحدث أول مرة ولكنه بعد أن يعيد الكرة مرة أو إثنتين أو ثلاثة يصبح قادر على الكلام بدون صعوبة.

وقد كان الشيخ يقوم بعمل حلقات بعد صلاة الجمعة، وبعد صلاة الجمعة من كل يوم وفي أيام رمضان كان يقوم بإعطاء درس كل يوم بعد صلاة الفجر ويذكر أبو أكرم أن الشيخ كان لا يهمل شيء إذ كان يخرج متأرجحاً يميناً وشمالاً والمطر على رأسه ليذهب إلى المسجد كما كان يواسي الفقراء[١٧].

أما في المدرسة فقد كان يجتمع حوله الشباب ويعمل مسابقات في تحفيظ القرآن الكريم وكان يوزع الجوائز وكان التلاميذ في المدرسة يذهبون إلى مسجده وبيته للاستماع منه كما كان يقوم بجولات وعظية في مساجد القطاع من الشمال إلى الجنوب.

كانت علاقات الشيخ الاجتماعية قوية جداً إذ لم يترك أحد من معارفه إلا قام بزيارته ومشاركته في مناسباته الطيبة والسيئة.

إلى جانب مسجد المعسكر الشمالي جعل الشيخ من المسجد الغربي ومسجد الوحدة والمسجد الأبيض مراكز أخرى له فكان يقوم هو في البداية بتركيز نشاط الدعوة في المسجد ثم يقوم بتسليمه إلى أحد إخوانه من الشباب الذين أثر فيهم حماس الشيخ ونشاطه لدعوة الإسلام ولطريق الله.

وقد تحدث أحدهم كيف أثر فيه الشيخ ووضعه الصحي فقال: «الحقيقة كان أي شاب من شباب الحركة الإسلامية ينظر للأستاذ أحمد ياسين كان يتضائل أمام نفسه مفكراً كيف أنا الذي أعطاني الله سبحانه وتعالى القوة والنشاط والعمل والمشي لا أعمل شيئاً مما يعمله الشيخ» وأضاف كان الشيخ أحمد نوراً يضيء الطريق للشباب، هذا الرجل المشلول الذي لا ينام الليل والبيت ممتليء إذا ما خرج فإنه يخرج للعمل وإذا ما جلس فإنه يجلس للعمل وكان الشباب يستمعون إليه كأب حنون وقدوة عالية»[١٨].

وقد استخدم الشيخ النشاط الرياضي كأحد أساليب الدعوة إذ كان الشيخ قد

بنى ملعب بسيط بالقرب من المسجد الشمالي كان مقراً رياضياً للشباب المسلم يمارسون فيه كرة القدم والجري والقفز وغيرها من الرياضات تحت إشراف مدربين أكثر خبرة من الشباب الذي لم يمارس أي رياضة.

وقد كان يقوم برحلات إلى البحر ووجبات أكل جماعية وأحياناً كان يقوم بعمل ملاعب مؤقتة على الشاطيء وعندما كان يقدم الشباب الفلسطيني المغترب إلى القطاع كان يقوم بعمل مخيمات صيفية لهم على شاطيء البحر تكون مؤقتة وكان يقوم آنذاك بالوعظ والإرشاد.

استطاع الشيخ من خلال عمل بيته ومسجده كمركز للنشاطات الدعوية تكوين فريق من الشباب المتحمس لدعوة الإسلام من جميع أنحاء القطاع وقد قام الشيخ بعد أن رباهم التربة الإخوانية السليمة بتوزيعهم على المساجد في أنحاء القطاع وقد قام هؤلاء بدورهم ببناء أجيال أخرى وبثوا الدعوة الإسلامية في جميع أنحاء القطاع وتجددت خلايا الدعوة وانتشر رجالها من جديد يدعون الناس إلى العودة إلى الله تم هذا كله تقريباً في غيبة عن الاتصال بقيادة الدعوة الإسلامية الأصلية أو بالأصح عدم تدخلها لأنها ربما قدرت أن اتصالها بالشيخ عن قرب كان سيركز عليه الأنظار مما سيعيق عمله إذ ما وقفت المخابرات المصرية في طريقه.

وقد شكل إسماعيل الخالدي قيادة الدعوة هو بعض الإخوان القلائل وبقي نشاطهم مجمداً تقريباً، لذلك كان شأن الشيخ أحمد يرتفع في صفوف الدعوة ويفرض شخصيته من خلال نشاطه واتباعه إذ شكلت حركة الشيخ الدعوة الحقيقية وشكلت قيادته القيادة الحقيقية، لذلك كان ارتفاع الشيخ إلى منصب القيادة العامة للدعوة بعد حرب ١٩٦٧ بإجماع جميع رجالات الدعوة أمراً طبيعياً.

الشيخ وتعرضه للسلطة في هذه المرحلة

تنامى دور الشيخ في وضع كانت الحركة فيه تلاقي صعوبات جمة ولكنه مع ذلك لم يجبن أو يخف ولكنه تعامل مع ظروف الواقع بقدر كبير من الحذر والحيطة

وكان يعتمد على تأييد الجماهير لأفعاله لأنها أي الجماهير هي الفيصل وهي التي تستطيع أن تضغط على الحكومة وقد راهن عليها الشيخ دائماً فكان نصيبه في كثير من الأوقات النجاح.

ومن الأمثلة على ذلك أنه كانت تجري احتفالات عادية لطلاب القطاع للاحتفال بأعياد النصر وهي الوقت الذي انسحب فيه اليهود من سيناء وقطاع غزة عام ١٩٥٦م والتي تركزت في شهر مارس من السابع منه وحتى الرابع عشر، وكان من ضمن هذه الاحتفالات رقصات كانت تؤديها طالبات المدارس بالإضافة إلى ألعاب الجمباز وألعاب القوى الأخرى.

واختيرت أربع فتيات من جيران الشيخ أحمد للمشاركة في الرقص أثناء الاحتفال، فلم يرق للشيخ لأنه مخالفاً لتعاليم الدين الإسلامي فقام بالاتصال بأولياء أمور الطالبات وحرضهم على عدم الموافقة على زج بناتهم في الرقص أمام الجماهير فتجاوب الآباء ومنعوا بناتهم من ذلك، فرفع الأمر إلى مدير التعليم آنذاك وهو بشير الريس فأمر بفصلهن من المدرسة عقاباً لهن ولأهلهن فاتصل أولياء الأمور بالشيخ يستشيرونه فقام الشيخ وأولياء أمور الطالبات بالاتصال بمساعد الحاكم العسكري المصري اللواء جمال صابر وكان مديراً لشؤون التعليم وهددوه بأن مخيم الشاطيء على موعد غداً مع مظاهرة كبرى احتجاجاً على فصل الطالبات التعسفي فرفع مساعد الحاكم الأمر إلى الحاكم العام فقام بتأنيب بشير الريس بالهاتف وأمر بإعادة الطالبات فوراً إلى مدارسهن ولم يشاركن في الحفل[١٩].

لم يستكن الشيخ أمام الضغوط العاتية التي كانت تنفذها أجهزة الأمن المصرية على حركة الإخوان ولكنه تصدى لذلك قدر الإمكان وقد ساعده عدم شهرته كقائد أو كزعيم للإخوان ولكن مع ذلك تعرض الشيخ أكثر من مرة للاعتقال.

الأولى في الخمسينيات حيث تم اعتقاله لاتهامه بانتمائه للإخوان، إذ حضر الضابط اسماعيل شراب وقد كان يسارياً وذا شخصية متعجرفة وكان من

المعادين للتيارات الإسلامية في القطاع فقام بضرب حصار على بيت الشيخ أحمد وسأل عنه أخاه أبا نسيم (الأخ الأكبر) فأخبره بأن أحمد يعمل مدرساً في مدرسة الرمال الاعدادية فذهب وألقى القبض عليه ووضعه في النزارة وكان وضع الشيخ الصحي صعب ولحسن حظه أن شرطي الأمن في تلك الليلة كان ينتمي للإخوان ويدعى أبو فايز فطلب الشرطي من الضابط أن يعطي للشيخ المريض بطانية زيادة إذ كان الوقت شتاء والبرد قارساً فأبى الضابط واستنكر ورفض طلب الشرطي ولو علم أن الجندي حتى قريب من الإخوان لربما رفضه من الخدمة إلا أن ما حدث هو أن الجندي أحضر بطانية وأدخلها للشيخ دون علم الضابط المسؤول في تلك الليلة[٢٠].

أما المرة الثانية فقد كانت عام ١٩٦٦م عندما تعرضت حركة الإخوان للضرب والملاحقة في مصر وأعدم الإمام العالم سيد قطب، في هذه الأثناء تعرض أفراد وقياديو الحركة في القطاع إلى الملاحقة واعتقل أربعة أفراد من الهيئة الإدارية مع شخصين آخرين وكان من ضمن المعتقلين الشيخ أحمد ياسين وكانت الحكومة تريد ترحيلهم إلى السجن الحربي في مصر بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم في مصر، وقد كانت نفس التهمة التي وجهت إلى قيادات الإخوان في مصر، إلا أن الغريب أن ما كان سيصدق أن إخوان مصر ما كان له أن يصدق على إخوان فلسطين لوجود العوائق السياسية والحدود والمسافات الطويلة ثم قلتهم وعدم قدرتهم على التأثير، وقد كان حظ الشيخ عظيماً إذ لم يرحل إلى مصر لأن السلطات «خشيت أن يموت معهم في الطريق» على حد تعبير أحد رجالات الشرطة فبقي في سجن غزة مدة أسبوعين[٢١] ويذكر الشيخ حماد الحسنات الذي كان من ضمن المعتقلين أن المدة قد قاربت على الشهر وعندما ذهب أخوه أبو نسيم ليخرجه بالكفالة صرخ فيه الضابط نوح قاعود والذي كان مسؤولاً في مركز الشرطة في ذلك اليوم «إنت مش عارف تأدب أخوك»[٢٢].

ويقول الأستاذ أحمد يوسف أنه عندما تم إلقاء القبض على الشيخ أحمد، ذهب ثلة من الجنود لإحضاره فكان الشيخ يسير بينهم لا يكاد ينقل قدميه ولا يقوى

على المشي وتجمع الناس حول هذا المنظر وأخذوا يلقون السباب والشتائم على الجنود إذ ماذا فعل لهم هذا الرجل العاجز المشلول، وفي إدارة المخابرات أخذ عليه المسؤولين تعهداً بألا يخطب ثم خرج من السجن ولكنه عندما دخل المسجد يوم الجمعة تدافع الناس إليه وحملوه ووضعوه على المنبر وطلبوا منه أن يطخب فيهم الجمعة، فلم يكن هناك مجال للتراجع أمام الشيخ وأصبح أمامه اختيار صعب، ولكنه قبل التحدي فقام وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه «إن الله يدافع عن الذين آمنوا، إن الله لا يحب كل خوان كفور أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله» واسترسل الشيخ في الآيات والأحاديث فأخذ الناس يبكون وانسابت دموعهم من شدة التأثر وكادت تحدث ثورة بعد الصلاة لولا أن تدارك الشيخ الأمر.

أثار هذا التصرف دائرة المباحث وألبهم على الشيخ الذي كتب تعهداً بالأمس فأمر مأمور الإدارة بإلقاء القبض عليه وكلف مجموعة من الجنود بذلك إلا أن الجندي المسؤول رفض الأمر وقال: «والله لو أمرت بفصلي فلن أذهب أتريدني أن أواجه احتقار الناس وشتائمهم»[٢٣].

يقول حماد الحسنات وبعد أن أفرج عنا عين لكل منا رجل مباحث يكون معه كظله يصاحبه إلى العمل ويعود معه إلى البيت ولا يتركه إلا عند باب البيت وكان ذلك يتم بطريقة مكشوفة بحيث كان الواحد يسير هو وجندي المباحث يتحدثون وكأنهم زملاء واستمر هذا الوضع حتى عام ١٩٦٧م.

والحقيقة أن الحكومة أرادت أن تضيق على الإخوان وتدفعهم للفهم أنهم تحت عيونها، لذلك اتبعت هذا الأسلوب المكشوف في المراقبة.

ويذكر أحد الإخوان عن هذه المرحلة أن أحد الإخوان كان موظفاً في الإمارات العربية وحضر إلى القطاع لزيارة أهله فقامت السلطات بمنعه من السفر، إلا أن الرجل الذي ارتبط بوظيفته وبأعمال تجارية أخرى في الخارج قام بتوسيط كبار رجالات المجتمع المؤثرين ولكن وساطتهم لم تفلح وذهبت كلها أدراج الرياح وفي

كل مرة كان الجواب واحد هو أنه «ده من الإخوان» ثم لحسن حظه خطرت لأحد إخوانه فكرة مدهشة إذ أدرك هذا الشاب أن تقارير المباحث هي السبب وراء الرفض المتوالي لسفره فأقنعه بأن يغير سلوكياته ويقطع زيارته لإخوانه والالتقاء معهم ثم الجلوس على المقاهي ودخول السينما وذلك حتى يكون مبرراً لدخول واسطات جديدة وفعلاً تم ذلك وحينها أفلحت الوساطات وسمح للرجل بالسفر إلى مكان عمله.

وربما هذه نفس الحادثة التي ذكرها الشيخ حماد الحسنات للمؤلف إذ ذكر أنه من طرائف هذه المرحلة هو أن أحد رجال المباحث كلف بمراقبة أحد الشباب المسلم ولما رأى ذلك الشاب تلك المتابعة أراد أن يموه على المباحث فأخذ يجلس على المقهى ويلعب طاولة الزهر ويدخل السينما وهذه من الأمور التي لم يعهدها رجل المباحث في شباب الإخوان الملتزمين بدينهم فكتب تقريره إلى مسؤوليه قائلاً: «لقد تحسنت أخلاقه حيث أصبح يرتاد المقاهي والسينما»[٢٤].

لقد وصل الأمر حتى بالناس المتدينين أن يمنعوا أبناءهم من الذهاب إلى المساجد والابتعاد عن المسلمين ويقول الحسنات في هذا المجال «ولا زلت أذكر موقف أحد الناس المتدينين مع ابنه الذي اتجه للإسلام حيث كان يقول له: «أنا خاطري أشوفك على القهوة وتلعب الزهر» ويضيف الحسنات «هذا الكلام يخرج من رجل يحافظ على الصلوات ولا يفوته أن يدعو الناس لها ولكنه كان يخشى على ابنه ولذلك كنت لا ترى أي إنسان دون العشرين أو الثلاثين في المسجد» ويقول: «كان يدخل المساجد عدد ضئيل وضئيل جداً من الرجال كبار السن الذين لا يمكن اتهامهم بشيء فالشباب المسلم في حياته الأولى عانى معاناة شديدة في تلك الظروف لكي يحافظ على هذه الدعوة والذين سقطوا تحت وطأة الظروف كثير ولو سألت عن كل من عايش تلك الفترة لعلمت الكثير عن حياة الناس»[٢٥].

اشتدت دعاية نظام عبد الناصر ضد الإخوان بعد ضربة ١٩٦٥م إذ اتهمهم بالعمالة لأمريكا والتآمر لقلب نظام حكمه واتهم الإخوان بأنهم كانوا يخفون

المسدسات والأسلحة البيضاء في المصاحف حيث يجوفون هذه المصاحف على قدر حجم هذه الأسلحة وهذه الدعايات لم تكن إلا من بنية أفكار أجهزة عبد الناصر الأمنية، ولم يحارب الإخوان كحركة فقط ولكنهم حوربوا كفكر أيضاً سواء في مصر أو القطاع إذ كانت تجمع كتبهم من الأسواق والمدارس وتحرق أمام الناس ويقول الأستاذ محمد شمعة في عام ١٩٦٥م كنت مدرساً في أحد مدارس الوكالة وحضر إلى المدرسة التي كنت أعمل بها شرطيان من رجال المباحث ليأخذوا من مكتبة المدرسة الكتب التي كانت تحمل اسم سيد قطب رحمه الله ومن ضمنها كتب للأطفال كان يشترك في تأليفها مع عبد الحميد جوده السحار وكانت تتناول السيرة النبوية أخذت وكومت كومة واحدة في ساحة المدرسة وتم إحراقها»[٣٦].

ولم يترك عبد الناصر خطاباً إلا وهاجم فيه الإخوان وقد كانت شعبية عبد الناصر آنذاك في أوجها وكان الناس يستمعون إليه ويؤمنون بكل ما يقول لدرجة أن كثير من الناس يعتقدون اعتقاداً جازماً أن المسلمين عملاء لأمريكا ولقد صرح أحدهم في أحد النوادي وهو يخطب في الناس «يجب أن نقضي على الإخوان المسلمين قبل اليهود»[٣٧].

لقد كان الجو المحيط بالدعوة والشيخ جو متعب مكهرب لا يستطيع أن يجد الداعية حريته سواء في السلوك أو حتى في التفكير إذ أن ضغط السلطة كان يضيق على الإخوان مسالك الفكر وطرق العمل.

شكل التنظيم الذي عمله الشيخ

شكل الشيخ حلقات وأسر إخوانية لا تزيد الأسرة فيها عن ثلاثة أفراد بحيث يتدارس هؤلاء مناهج إسلامية إخوانية وكانت الاجتماعات تتم أسبوعياً بحيث لا يقل عن ساعة تقريباً وكان يشترط في هؤلاء أن تجمعهم ظروف متقاربة ويسكنون في منطقة سكنية واحدة حتى لا يكون اجتماعهم في أي بيت مثير للشبهة وقد قسم القطاع في تلك المرحلة إلى خمسة مناطق تشرف عليه هيئة إدارية واحدة

مكونة من خمسة أفراد عن كل منطقة فرد وكانت المسؤولية في تلك المرحلة من نصيب الأستاذ اسماعيل الخالدي الذي غادر القطاع عام ١٩٦٨م إلى الخارج وكانت صلة الدعوة في هذه المرحلة بالخارج مقطوعة، لذلك كانت الهيئة الإدارية هي التي تضع سياسة العمل في داخل القطاع باجتهاداتها الشخصية والنشاط كان يقوى أو يضمحل حسب ظروف الدولة وظروف الحركة سواء في مصر أو القطاع[٢٨].

مراجع الفصل الثاني

(١) أحمد بن يوسف، مرجع سبق ذكره ص١٣.

(٢) المرجع السابق.

(٣) مقابلة مع أبو نسيم ١٩٩٠/٧/٢٤م.

(٤) أحمد بن يوسف، المرجع السابق ذكره ص١٥.

(٥) يعمل محمد حالياً عامل في مصنع للطوب الاسمنتي بالقرب من منزله أما عبد الحميد فيتعلم ميكانيكي.

(٦) د. زياد عمر، الحركة الإسلامية في الضفة الغربية وقطاع غزة، مؤسسة الثقافة الفلسطينية دار الأسوار، عكا أيلول ١٩٨٩م ص٢٥، أنظر كذلك د. زياد عمر، أصول الحركات السياسية في قطاع غزة ٤٨ – ٦٧، دار الأسوار عكا ص٧٢.

(٧) المرجع السابق ص٢٥.

(٨) مقابلة مع حماد الحسنات عام ١٩٨٩م.

(٩) إبراهيم خليل سكيك، غزة عبر التاريخ، الجزء السابع، بدون ناشر أو سنة نشر ص٢١ – ٢٢.

(١٠) إبراهيم سكيك، المرجع السابق ص٤٣ – ٤٤.

(١١) د. زياد عمر، أصول الحركات السياسية، مرجع سابق ص٧٦.

(١٢) المرجع السابق ص٣٤.

(١٣) مقابلة مع الأستاذ داود أبو خاطر ١٩٩٠/٨/١٩م وأضاف أن كون الشيخ أحمد كان من المغمورين في الحركة الإسلامية هو الذي ساعده في تنفيذ خططه في إعادة بناء الدعوة في القطاع.

(١٤) مقابلة مع الأستاذ محمد شمعة يوم ١٩٩٠/٧/٣٠م.

(١٥) مقابلة مع الأستاذ داود أبو خاطر ١٩٩٠/٨/١٢م.

(١٦) مقابلة مع الأستاذ أحمد بحر يوم ١٩٩٠/٧/٢٩م.

(١٧) اللقاء السابق.

(١٨) اللقاء السابق.

(١٩) أحمد بن يوسف، مرجع سابق ص١٤.

(٢٠) مقابلة مع أبو نسيم ١٩٩٠/٧/٢٤م.

(٢١) أحمد بن يوسف، المرجع السابق ص١٧.

(٢٢) مقابلة مع أبي نسيم ١٩٩٠/٧/٢٤م، نوح قاعود أصبح رجل من رجالات المنظمة البارزين المتواجدين في مصر بعد ١٩٦٧م.

(٢٣) أحمد بن يوسف، المرجع السابق ص١٨.

(٢٤) اللقاء السابق مع حماد الحسنات، وكذلك رسالة من السيد الحسنات إلى المؤلف.

(٢٥) المرجع السابق.

(٢٦) اللقاء السابق مع الأستاذ محمد شمعة.

(٢٧) رسالة السيد حماد الحسنات السابقة الذكر للمؤلف.

(٢٨) المرجع السابق.